

على ثلاث ركائز الثَّراءُ التَّراثيُّ في نصوص شعراء شباب عكاظ .

يُمَثِّلُ التَّراثُ العَرَبِيُّ في الشَّعرِ السُّعُودِيِّ الحَدِيثَ مَعِينًا وَفَيْضًا يَسْتَمِدُّ مِنْهُ الشُّعْرَاءُ طَاقَتَهُمْ الْإِبْدَاعِيَّةَ، وَيُفَاعِلُونَ فِيهِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ، فَيَجْعَلُونَ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَالشَّخْصِيَّاتِ وَالْأَمَاكِينِ نُقْطَةً صَوِّءٍ تَتَقَدُّ فِي نُصُوصِهِمْ .

وتتوقَّف هذه الدِّراسةُ عِنْدَ نَمَازِجٍ مُخْتَارَةٍ مِنَ الْفَائِزِينَ بِجَائِزَةِ شُعْرَاءِ شَبَابِ عُكَاظٍ، لِيَتَبَيَّنَ كَيْفَ تَشَكَّلَ الثَّراءُ التَّراثيُّ فِي ثَلَاثِ رَكَائِزٍ رَئِيسَةٍ: الشَّخْصِيَّاتِ، الْأَمَاكِينِ، وَسُوقِ عُكَاظٍ كَمُلَاتَقَيَّ ثَقَافِيٍّ، حَيْثُ يَتَجَلَّى فِيهَا التَّمَازُجُ بَيْنَ الرَّمْزِ وَالْحُضُورِ، وَبَيْنَ الْمَاضِي السَّاذِ يُلْهِمُ وَالْحَاضِرِ السَّاذِ يُبَدِّعُ، فَتُصَيِّحُ النَّصُوصُ مَسَاحَاتٍ لِاسْتِعَادَةِ الْأَصَالَةِ وَإِعَادَةِ صِيَاغَةِ الْهُوِيَّةِ الْجَمَالِيَّةِ فِي سِيَاقٍ مُعَاصِرٍ تَتَوَقَّفُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ عِنْدَ نَصُوصِ سَبْعَةٍ مِنَ الْفَائِزِينَ بِالْجَائِزَةِ، بِوصفها نماذج تعبِّر عن التقاء الوطن بالتراث:

1. أحمد القيسي - «وتسألني» (2009)

2. ناجي حراية - «عنا قيد من خابية الوطن» (2010)

3. إِيَادُ الْحَكْمِي - «عتبات وبوابة مشرعة» (2012)

4. حيدر جواد العبدان - «رملة تغسل الماء» (2013)

5. علي الدندن - «حناء من سراب» (2014)

6. حسن طواشي - «وحي من سدة الغيم (خبر الأمس)» (2015)

7. خليف غالب الشمري - «حزن صعلوك متأخر! رسالة إلى الشنفرى» (2016)

وَيَحْتَوِي الثَّراءُ التَّراثيُّ عَلَى ثَلَاثِ رَكَائِزٍ:

الشَّخْصِيَّاتِ - الْأَمَاكِينِ - سُوقِ عُكَاظٍ (مُلَاتَقَيَّ ثَقَافِيٍّ)

الرَّكِيزَةُ الْأُولَى:

الشَّخْصِيَّاتُ فِي الثَّراءِ التَّراثيِّ

اسْتَحْضَرَ حَيْدَرُ الْعَبْدَانُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ، مُؤَكِّدًا عَلَى الْفُدْوَةِ

الْإِلَهِيَّةِ وَالْإِخْتِيَارِ الْإِلَهِيِّ:

«حَسْبُنَا أَنْ لَدَيْنَا الْمُصْطَفَى،

وَلَدَنَا الْأَرْضُ السَّائِيَةُ الْمُصْطَفَى لَهُ»

وَأَبْرَزَ نَاجِي حَرَابَةِ طَرْفَةِ بَنِ الْعَبْدِ وَالنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّ فِي
لَحْظَةِ شِعْرِيَّةٍ تَمْزِجُ بَيْنَ الْحُضُورِ وَالْمَاضِي:
«هُنَا (طَرْفَةُ) فِي الشَّعْرِ يَدْفُنُ سِرَّهُ،
فِي حَفْرِ مَنْ (ذُبْيَانِ) شَيْخٌ لِيَطْلُعَا»
ثُمَّ اسْتَدْعَى حَيْدَرُ الْعَبْدُ سَامًا، رَمَزَ الْفِعْلَ الْبَشْرِيَّ وَالْجَلَالَ
الْإِنْسَانِيَّ:
«مُنْذُ (سَامِ) الْأَبِ وَالنَّاسِ هُنَا،
يَبْذُرُونَ الْمَجْدَ، يَجْنُونَ الْجَلَالَ»
وَذَكَرَ خَلِيفُ الشَّهْمَرِيِّ الصَّعَالِيكَ وَسَيِّدَ الْأَزْدِ، مُجَسِّدًا التَّمَرُّدَ
الشَّعْرِيَّ وَالْمُوَاجَهَةَ الرَّمَزِيَّةَ لِلسُّلْطَةِ التَّارِيخِيَّةِ:
«إِنَّا صَعَالِيكُ هَذَا الْعَصْرِ يَا أَبَتِي
أَجَسَّامُنَا ذَبُلَتْ.. شَحَّتْ عَطَايَانَا!
نُصَادِقُ الْوَرَقَ الْمَحْمُومَ..
نَسْرِقُهُ.. هَمًّا
وَنُهِدِيهِ.. مَا أَفْسَى هَدَايَانَا!
يَا سَيِّدَ الْأَزْدِ.. شِعْرِي لَا يُطَاوَعُنِي
أَفِقْ! نُرِيدُ لِهَذَا الشَّعْرِ عَصِيَانًا..
أَفِقْ.. فَقَلْبُ اللَّيَالِي رَاجِفٌ..
وَأَنَا طِفْلٌ
وَصَدَّقِي غَدَا زُورًا وَبُهِتَانًا»
وَاسْتَدْعَى أَحْمَدُ الْقَيْسِي قَيْسَ بَنَ الْمُلوِّحِ، رَامِزًا لِمَتَّوَحَّدِ وَالْفَيْكْرِ
الْعَاطِفِيَّ الْمُتَجَذِّرَ فِي التُّرَاثِ:
وتسألني:
□ لماذا الليلُ في عينيك مَصلُوبٌ؟
□ يُحْيِيكَ شَجَاكَ أَغْنِيَّةٌ
□ لِمَنْ عَبَرُوا عَلَي جِسْرِ احتضاراتك؟
□ لماذا « قيسُ » رمزٌ في حكاياتك؟
وَكَدَّ وَطَفَّ حَسَنُ طَوَاشِي الْغَزَلِ، مُجَسِّدًا الرِّقَّةَ وَالْإِنْسِجَامَ الْعَاطِفِيَّ:
«لَيْلَايَ سِرْبُ عَدِيرٍ بَتَّ تُقَرُّ نُهَا
مِنْ نَايِ حَبْرِكَ مَا لَا يُتَّقِنُ الْغَزْلُ»

وَجَعَلَ حَيْدَرُ الْعَبْدُ مِنْ الْفَسَّاحِ رَمَزَ الْبَذْلِ وَالْإِبْدَاعِ الْمُرْتَبِطِ
بِالْأَرْضِ:

«كَمْ زَرَعْنَاهُ بِأَحْلَامِ النَّدَى،

وَشَرَبْنَا مِنْ سَوَاقِيهِ زُلَّالَهُ

وَطَنُ كَالْقَمْحِ، إِنْ أَعْطَيْتَهُ

نَيْسَةَ الْفَسَّاحِ، أَعْطَاكَ غِلَّالَهُ»

وَاسْتَدْعَى عَلِيٌّ الدَّزْدَنُ الْفَسَّاحَ، مُضِيفًا بُعْدًا إِنْسَانِيًّا وَعَاطِفِيًّا
لِلْبَذْلِ وَالْإِنْتِمَاءِ:

«سَيَفْنَى لِيَبْقَى الْحُبُّ - كُلُّ مُدَجَّجٍ

بِقَامَةِ لَيْلَاهُ، وَأَعْطَاكَ خَوْلَتِهِ

إِذَا عَشَقُوا أُزْنِي.. تَطُولُ زَخِيلُهُمْ

فَلَا يَعْشَقُ الْفَسَّاحُ مِنْ دُونِ زَخْلَتِهِ»

وَأَبْرَزَ إِيَّادُ الْحَكَمِيِّ الْأَبْطَالِ الْوَطَنِيِّينَ، مُجَسِّدًا الْفَخْرَ بِالْوَطَنِ
وَاللَّارِ تَبَاطَ بِالْمَاضِي الْمَجِيدِ:

«هُنَا مَشَى مَلَأُ أَعْلَى أَمَارَتُهُمْ

قَالُوا فَلَمْ يَذَرُوا مَاتُوا فَمَا اندَثَرُوا

هُمُ قَدْ أَحَاطُوا بِكُنْهِ الطَّيِّينِ هُمْ عَرَفُوا

مَعْنَى جَلَالَتِهِمْ إِذْ إِنْسَهُمْ بِشَرِّ

وَاسْتَدْعَى حَسَنُ طَوَاشِي الْمَارِقِينَ، مُجَسِّدًا التَّهْدِيدَ الْفِكْرِيَّ وَالْعَدَاءَ
لِلْوَطَنِ:

«الْحَقْدُ يَغْزُو بِفَيْحِ الْفِكْرِ شُرْفَتَنَا

وَالْمَارِقُونَ عَلَى أَفْكَارِهِمْ حَبِلُوا

أَغْبَى الْبَرَائِ أُنَاسُ يَدُوعُونَ إِلَيَّ

أَعْدَائِهِمْ تُرْبَةُ الْفِرْدَوْسِ إِنْ بَخِلُوا»

وَأخِيرًا جَسَّدَ حيدرُ الْعَبْدُ صِرَاعَ الْحُبِّ وَالْخَطِيئَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ
هَابِيلَ وَقَابِيلَ:

«فِكْرَةُ الْحُبِّ السَّتِي أَبْدَعَهَا

قَلْبُ هَابِيلَ، حَرَسْنَاهَا هُنَا لَهُ!

فِي دِمَانَا وَطَنُ الْكُلِّ السَّذِي

لَمْ وَلَنْ يَرْضَى لِقَابِيلَ اخْتِزَالَهُ»

الرَّكِيْزَةُ الثَّانِيَّةُ :

الْمَآكِنُ فِي الثَّرَاءِ التُّرَاثِيِّ :

اسْتَحْضَرَ حَيْدَرُ جَوَادُ الْعَيْدُ الْمَنَاطِقَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ
السُّعُودِيَّةِ، مُجَسِّدًا سِحْرَ الْأَرْضِ وَبَهْجَةَ الْمَكَانِ، مُسْتَدْعِيًا الْأُفُقَ
وَالْجَنُوبَ وَالشَّمَالَ، وَمُجَسِّدًا الْمَوْسِيقَى وَاللَّوْنَ وَالْإِبْدَاعَ فِي الطَّبِيعَةِ :

«مِنْ خَلِيجِ اللَّؤْلُؤِ الْغَضِّ إِلَى

أَحْمَرَ الْمَرْجَانِ هُدُبُ وَاكْتِحَالَةٍ

وَكَأَنَّ الْأُفُقَ عُرْسٌ، فَابْتَهَجَ

يَا جَنُوبَ الْحُبِّ، وَافْرَحَ يَا شَمَالَهْ

أَلْهَمَيْنَا يَا حِجَازَ الْ، يَا

هَجَرَ النَّخْلَةِ، يَا نَجْدَ الْغَزَالَةِ

مِنْ لَذِيزِ اللَّحْنِ (مَوْسِيقَى)، مِنْ الْ

لَّوْنِ سِحْرٍ، وَمِنْ الْإِبْدَاعِ حَالَةٍ»

وَاسْتَدْعَى نَاجِي حَرَابَةِ مَكَّةَ وَزَمْزَمَ وَالْكَعْبَةَ وَحَجَرَ إِسْمَاعِيلَ، مُضِيفًا

بُعْدًا مُقَدَّسًا لِلْمَآكِنِ، وَمُجَسِّدًا سُمُوءَهَا الرَُّّوحِيَّ وَمَوْرُوثَهَا

الشَّعْرِيَّ :

«تَفْرِيصُ عَلَيَّ جَنْبَيْكَ مِنْ (زَمْزَمَ) التَّقَى

جَدَاوِلُ مِنْ قَلْبٍ (بِمَكَّةَ) أُتْرَعَا

لِقَامَتِكَ الْفَرْعَاءُ هَامٌ مُقَدَّسٌ

تَخْرُ لَهُ الْهَامَاتُ هَيْمًا وَخُشَّعَا

فَتَاجُكَ - شَاءَ الْ - أَضْلَاعُ (كَعْبَةٍ)

وَبِـ(الْحَجَرَ) الْأَسْنَى اسْتَطَالَ مُرَصَّعَا

وَاسْتَرْسَلَ نَاجِي حَرَابَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ذَاكِرًا غَارَ حِرَاءِ، مَرَكَزَ الْوَحْيِ

وَالْإِلَهَامِ، لِيُجَسِّدَ الْبِدَايَةَ الرَُّّوحِيَّةَ لِلرَّسَالَةِ الثَّقَافِيَّةِ :

«هُنَا ذَاتَ وَحْيٍ فَوْقَ نَغْمِ (حِرَائِنَا)

تَفْتَتَّقُ آيُ فَجَّرَ الْحَرْفَ مَنُوبِعَا

سَقَى وَطَنِي مَاءَ الْهُدَى صَافِيًا فَمَا

عَلَا سَعْفُ فَوْقَ النَّخِيلِ سِوَى دُعَا

وَاسْتَدْعَى عَلِي الدَّيْدَنُ ذِي قَارِ، مُوْثِّقًا حُضُورَ الْمَكَانِ فِي الشَّعْرِ وَرَاطِبًا

إِيَّاهُ بِالصَّحَارَى وَالْحُقُولِ :

«خُزَامَى حُقُولِ الشَّعْرِ طَعْمُ شِفَاهِهِ
تَوَدُّ الصَّحَارَى لَوْ تَفُوزُ بِقُبُلَتِهِ
يَسِيرُ.. ضُلُوعُ الرَّمْلِ تَحْرُسُ خَطْوَهُ
وَأَصْدَاءُ (ذِي قَارٍ) تَرْنُ بِرُكْبَتِهِ»

وَذَكَرَ حَسَنُ طَوَاشِي وَادِي عَبْقَرٍ، مُجَسِّدًا جَمَالَ الْمَشْهَدِ وَرَابِطًا إِيَّاهُ
بِالذَّاكِرَةِ الْمَوْسِيقِيَّةِ وَالشَّعْرِيَّةِ:
«أَدِرْ بِطَرَفِكَ تَبْصِرْ هَالَتِي قَمَرِ
وَعَبْقَرًا مِنْ مَرَايَا الضَّوْءِ يُخْتَزِلُ
فَاقْبِضْ مِنْ الرَّمْلِ أَنْغَامًا وَذَاكِرَةً
مِمَّنْ عَلَى الصَّخْرَةِ الْأَبْهَى رُؤَى نُسَلُّوا»

وختامًا استحضَرَ نَاجِي حَرَابَةِ أَيْضًا وَادِي عَبْقَرٍ، مُؤَكِّدًا رَمْزِيَّةَ الْمَكَانِ
فِي الشَّعْرِ وَصُورِ الْخَيَالِ:
«هُوَ الشَّعْرُ نَدِيعُ الْبَيْدِ، رَاحِلَةُ الْهَوَى
كِنَانَةُ صَدْرِ، (عَبْقَرٍ)، رَاحَتَا دُعَا
الرَّكِيزَةِ الثَّالِثَةِ:

سُوقُ عُكَّاطِ

يُعَدُّ سُوقُ عُكَّاطِ مِنْ أَبْرَزِ مَعَالِمِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛ فَقَدْ
كَانَ مُلْتَاقَى لِنَتِجَاتِهَا وَالسِّيَاسَةِ، وَلَكِنَّ الشَّعْرَ تَصَدَّرَ مَشْهُدَهُ،
فَصَارَ رَمْزًا لِلْهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ وَذَاكِرَةً لِلْإِبْدَاعِ.
عُرِفَ عُكَّاطُ بِكَوْنِهِ حَاضِنَةً لِلْمُعَلَّقَاتِ، وَمِنْذَرًا لِلنَّابِغَةِ وَزُهَيْرِ
وَعَنْتَرَةٍ، وَمَوْطِنًا لِلْخُطْبِ الْحَكِيمَةِ كَخُطْبِ قَيْسِ الْإِيَادِيِّ.
وَجُغْرَافِيًّا، ارْتَبَطَ عُكَّاطُ بِالطَّنَافِ، فَغَدَا الْمَكَانَانِ مَعًا شَاهِدَيْنِ
عَلَى تَمَازُجِ الْمَكَانِ وَالطَّبِيعَةِ وَالشَّعْرِ، كَمَا ارْتَبَطَتِ بِهِ رُمُوزُ مِثْلُ
الْخَيْمَةِ الْحَمْرَاءِ (مَوْضِعِ التَّحْكِيمِ الشَّعْرِيِّ).

اسْتَحْضَرَ حَسَنُ طَوَاشِي (الطَّنَافِ)، مُجَسِّدًا خُصُوبَةَ الْمَكَانِ وَطَعْمَهُ
الشَّعْرِيَّ، وَمُطَهِّرًا انْسِجَامَ الطَّبِيعَةِ مَعَ الْإِبْدَاعِ:

«هَاطَائِفُ الشَّعْرِ فَلَا بِي تَاجُ سَوْسَنَةٍ

لِلنَّحْلِ يُرْشَفُ مِنْ أَعْمَاقِهِ الْعَسَلُ

نَمَا الْقَرِيضُ عَلَى إِكْلِيلِهِ كَحِلَا

فَجَاءَ يَهْمِسُ مَا أَوْحَى بِهِ الْكُحْلُ»

وَاسْتَدْعَى إِيَادُ الْحَكَمِيُّ (الطَّائِفَ)، مُبْرِزًا دَوْرَهُ فِي الإِلَهَامِ الشَّعْرِيِّ وَالْحُضُورِ الثَّقَافِيِّ:

«أَوْ أَنْزَهُ الطَّائِفُ الْغَرْبِيُّ مُبْتَدِرًا
أُخْرَى الْجِهَاتِ، وَلَا يَنْفَكُ يَبْتَدِرُ»

وَقَدْ أَبْرَزَ حَيْدَرُ الْعَبْدُ شَخْصِيَّةَ قَيْسِ الْإِيَادِيِّ، خَطِيبِ الْعَرَبِ فِي عُكَاظَ، رَابِطًا بَيْنَ التَّجْدِيدِ الْفَنِّيِّ وَالْأَصَالَةِ التُّرَاثِيَّةِ:

«يَا عُكَاظَ الْفَنِّ، أَشْرِبْنَا مِنْ
فَنِّ تَجْدِيدٍ، وَأَطْعِمْنَا أَصَالَةَ
لَمْ يَنْزَلْ (قَيْسُ الْإِيَادِيِّ) هُنَا،
طَيْفُهُ يَكْشِفُ لِلرَّيْحِ سَلَالَةَ»

وَاسْتَدْعَى نَاجِي حَرَابَةَ (عُكَاظَ) مَقْرُونًا بِالْخَيْمَةِ الْحَمْرَاءِ وَجَبَلِ
الْمُشَقَّعِ بِالْأَحْسَاءِ، كَاشِفًا عَنْ تَارِيخِ مُشْبَعِ بِالشَّعْرِ وَالْبُطُولاتِ:

«هُنَا الشَّعْرُ إِنْ أَوْرَتْ (عُكَاظُ) زُجُومَهُ
يَتَيَّهْهُ مَسَاءٌ فِي (الْمُشَقَّعِ) شَعْشَعَا
وَمَا (الْخَيْمَةُ الْحَمْرَاءُ) فِي أُفُقِ دَارِنَا
سَوَى هَزَجِ النَّارِيخِ بِأَحَ فَأَسْمَعَا»

وَأَعَادَ إِيَادُ الْحَكَمِيُّ إِلَى عُكَاظَ بِهَاءَهُ، مُسْتَحْضِرًا صُورَ النَّشْوَهِ
وَالْخَصْبِ وَالتَّجْدِيدِ، وَكَأَنْزَهُ خَمْرَةَ ثَقَافِيَّةً تُسَكِّرُ وَتُنْعِشُ:

«أَدِرْ عُكَاظَكَ نَزْمَلْ قَدْرَ شَاهِقَةٍ
تُرَاقِصُ الْغَيْمَةَ الْأَشْهَى وَتَعْتَصِرُ
مِمَّا رَحِيلِكَ أَنْزَفَاسُ لَنَا هُزْمَتَ
أَمَّا وَقَدْ عُدَّتْ، فَالْأَنْزَفَاسُ وَالطَّافِرُ»

وَأَخِيرًا غَاصَ عَلِي الدَّزْدَنُ فِي ذَاكِرَةِ عُكَاظَ الشَّعْرِيَّةِ لِيَسْتَدْعِيَ
رُمُوزَهَا الْكُبْرَى:

«أَرَى فِي عُكَاظِ الْبَدْعِ "نَابِغَةَ" السَّذِي
أَحَالَ رُمُوشَ الْحَرْفِ سَقْفًا لِيَخِيَمَتِهِ
إِذَا مَسَّتِ الرُّؤْيَا "زُهَيْرًا" بِبُؤْسِهَا
وَرَاءَ تَخُومِ النَّفْسِ يَخْلُو بِحِكْمَتِهِ
وَبَانَتْ سُعَادُ الرُّوحِ عَنْ عَيْنِ "كَعْبِيهَا"
فَدَانَتْ سُعَادُ الشَّعْرِ فِي نَسْجِ بُرْدَتِهِ

و"عَنْتَرَةَ" لَمْ يَحْتَكِرْ قَطُّ حَيْثُ
فَعَيْلَةٍ مُلْكُ الْأَرْضِ.. لَيْسَتْ بِعَيْلَتِهِ
أَرَى "مَالِكَ ابْنِ الرَّيْبِ" يَمْقُلُ حَرْفَهُ
لِيَهْطَادَ عِنْدَ الْمَوْتِ طَبِيعَةَ مَوْتَتِهِ»

الخاتمة:

يَكْشِفُ التَّأْمُّلُ فِي نُصُوصِ شُعْرَاءِ شَبَابِ عُكَّاطٍ أَنَّ التُّرَاثَ لَيْسَ مَجَرَّدَ
ذَاكِرَةٍ مَاضِيَةٍ، بَلْ كَيْفَانٌ مُتَجَدِّدٌ يَتَشَكَّلُ فِي الشَّعْرِ كَوَعْيٍ وَجَمَالٍ
وَهَوِيَّةٍ.

فَالشَّخْصِيَّاتُ الْمَاضِيَةُ تَتَجَدَّدُ فِي الرُّمُوزِ، وَالْأَمَاكِينُ التُّرَاثِيَّةُ
تَسْتَعِيدُ صَوْتَهَا فِي الْوَطَنِ، وَسُوقُ عُكَّاطٍ يَعُودُ كَمَسَاحَةٍ لِلتَّجَاوُزِ
وَالْإِبْدَاعِ.

وهكذا تُؤَكِّدُ التَّجَارِبُ الشَّعْرِيَّةُ الشَّابَّةُ أَنَّ التُّرَاثَ الشَّعْرِيَّ فِي
شُعْرِ عُكَّاطٍ لَيْسَ رُجُوعًا إِلَى الْمَاضِي، بَلْ انْبِعَاطٌ جَدِيدٌ لِلْمَعْنَى
وَالذَّاكِرَةِ فِي لُغَةٍ تُجَدِّدُ التُّرَاثَ وَتُؤَصِّلُ الْحَاضِرَ.